الياقوت الثمين في بيعة العاشقين [١]

أُنشودة الحياة
منازل العشـق
الوحدة والتكثّر
متعلّقات الحبّ والعشـق
العشـق العرفاني
من أحوال العاشـقين
مصادر في الحبّ والعشـق

الياقوت الثمين في بيعة العاشقين [١]

السيد عادل العلوي
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجميل ويحبّ الجمال ، والصلاة والسلام على مرآة الكمال ، سادة الخلق ذوي الجلال ، محمّد المصطفى وآله الأطهار.

أمّا بعد :

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبّاً للهِ)[٢].

واعلم أنّ العشق لغةً بمعنى الزيادة في الحبّ والشدّة فيه ، حتّى يعدّ من الإفراط في المودّة والمحبّة.

وكلمة (العشق) وإن كانت سهلة التلفّظ وخفيفة الحروف ، فإنّها تتكّون من ثلاث أحرف وحسب ، إلاّ أ نّها في مغزاها وجوهرها تحمل بين أضلاعها المثلّث من المعاني الثقيلة والمفاهيم السامية ، والحقائق الرفيعة ، والواقع الشامخ ، ما يعجز القلم عن بيانه ، ويكلّ اللسان عن تبيانه.

فإنّ من (عينها) تشعّ (عبقات الأنوار) ومن (شينها) يفوح (شذى الحبّ الإلهي) الطاهر ، ومن (قافها) تطلع (قوافل العشق) مشاة تصهرهم الشمس وتلفعهم الأرياح ، وتجرحهم شماتة العاذلين ، في درب الأشواك والصخور ، وبين الجبال والوديان ، في البراري والصحاري ... بُغية لقاء المعشوق ، عسى أن يحضوا بنظرة من عيونه القدسية ، وبجذبة من وجهه المشرق ومحيّاه الوضّاء ...

أجل : العشق سماء بعيد تناولها ، وبحار عميق أغوارها ، وجبال صعب صعودها ، وكتاب عظيم قُطره ، وقلم كريم دواته ...

العشق بسمات الشغف على شفاه الأيتام (أيتام آل محمّد) وأهازيج أُمّهات الشهداء الأبرار في ساحات المعركة ، ولوحات فنيّة رائعة رسمها فيّاض الوجود ، ونغمات ساحرة لقيثارة الكون الوسيع.

فمن ذرّاته المليارديّة وإلى مجرّاته المليونيّة تسمع (أُنشودة العشق) ودعوة المعشوق.

ورد في الحديث القدسي قال الله سبحانه وتعالى : « لو علم العبد كيف اشتياقي إليه لمات شوقاً ».

فالمعشوق الأوّل هو (الله) سبحانه يدعو خلقه إلى جماله ووصاله والفناء فيه ، إذ العشق فناء العاشق في المعشوق ...

العشق عنوان صحيفة الموالين ، و (بيعة العاشقين) على مذبح الشهادة والفداء ، وإنّه حلقة وصل بين العاشق الولهان وبين معشوقه السبحان ...

العشق نفحات القدس في رياض المحبّين ، وشميم الأُنس في جنّات العاشقين ، ونسيم فراديس أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ...

ولغة العاشقين ومنطقهم يختلف جوهراً عن لغات الكائنات ، فإنّ العاشق يذوب في جمال معشوقه وجلاله وإرادته ، ويتوحّد في إخلاصه وودّه ، ولا يرى في الدير ديّاراً إلاّ هو ...

حبّ الكمال والجمال :

ثمّ الإنسان بفطرته يحبّ الكمال والجمال ، فإنّ حبّ الجمال من غرائزه الواعية ، كما أنّ كلّ الكائنات في حركتها الجوهرية عاشقة لكمالها وجمالها ، فإنّها في مسيرة تكامليّة ، وإذا لم تصل إلى الكمال المنشود فيها ، فإنّه بسبب العوائق والعوارض في مسيرها.

والتكامل الإنساني : إمّا أن يكون باعتبار مادّته وجسمه ، فهو خارج عن حدود اختياره ، أو يكون باعتبار روحه ونفسه ، فيكون من التكامل النفسي والروحي ، فهو داخل في إطار الاختيار والإرادة.

ولا يصحّ منه في سُنّة الحياة ونظام تكامل العالم أن يبقى ناقصاً ، بل لا بدّ من الوصول إلى كماله فيستلزمه أن يكافح ما يعترضه في مسير حياته التكاملية في أبعاده الوجودية : الجسم والروح والعقل ، حتّى يصل إلى الطهر والنور والرقيّ الفكري ، وإلى قمّة الإنسانية السامية ، ومن الواضح الثابت أنّ تزكية النفس وتهذيب الروح من عوامل الكمال ، ولولا ذلك لكان الإنسان كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

والروح تعشق الكمال المعنوي ، وهي التي وضعت سلسلة من القواعد الأخلاقية ، لا حظّ للحيوانات فيها.

والبشريّة اليوم في عيشتها المادّية والروحية ، الفردية والاجتماعية ، تفقد النظام والتوازن الدقيق ، فتقع إمّا في دائرة الإفراط أو محيط التفريط ، وكلاهما من الجهل والظلام.

ومن الواضح أنّ الإنسان ليس بعاصٍ جان بالفطرة ، بل موجود يتقبّل النصيحة والموعظة ، وبإرادته يكفّ نفسه عن الشر ، وبهذا يعرف أهميّة الأخلاق وحضور علماء الإصلاح في المجتمعات البشرية . فأهمّ وأقوم وظيفة للإنسان هي التربية والتعليم ، ولو كان الإنسان في ذاته قد خلق شريراً وشيطاناً لكان سعي العلماء باطلا ، ولكانت المساعي التربويّة تذهب سدىً وتكون بلا ثمر ... ثمّ كيف يمكن للنبيّ الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) أن يحدث ثورة إصلاحية

وأخلاقية في جزيرة العرب في تلك الأيّام أيام الجاهلية الجهلاء.

إنّ القرآن الكريم يرسم للإنسان مسار خطاه إلى التكامل بقوله تعالى :

(يَا أ يُّهَا الإنسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)[٣].

و (أنَّ إلَى رَبِّكَ المُـنْـتَهَى)[٤].

وذلك في مدرسة الأنبياء الإلهيين ومن يحذو حذوهم من العلماء الصالحين . فإنّهم من أجل إصلاح الناس يحملون لهم من منبع الوحي والإلهام برامج السعادة والكمال . فإنّه إن لم يكن الإنسان تحت برامج تربوية لضاع ، ولتغلّبت عليه القوى الشهوانية الهالكة ، وأعمال الإنسان إمّا صالحة أو طالحة ، فإمّا أن يثاب عليها أو يعاقب :

(قَدْ أ فْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[٥].

فللإنسان قوّة التمييز بين الخير والشرّ ، وهي المعجون الأوّل واللبنة الأُولى لصرح الأخلاق والحياة الطيّبة ، فإنّه يتقبّل الإصلاح والإرشاد حتّى الجناة من الناس ، فلا يوجد في البشر إنسان شرّير بالذات كما ذكرنا ، بل يوجد أُناس مرضى النفوس من خلال التلوّث بالبيئة والمحيط ، فأمل الإصلاح والنظرة الرحيمة لهؤلاء المرضى ممّا يساعد على هدايتهم وإرشادهم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه ».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيّته لولده الحسن (عليه السلام) :

« وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبّك ».

وحبّ الإيمان والأخلاق مستودع في ضمير الإنسان ، كما أنّ كراهية الكفر والفسوق والعصيان كذلك ، فإنّ الله لم يخلق طينة الإنسان مختمراً بالتوحيد وحسب ، بل زيّن قلوب البشر بحبّ الخير والإصلاح ، وكرّه إليهم الكفر مستودعاً ذلك في فطرتهم :

(وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّـنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُـفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ)[٦].

فالطفل لا يولد شرّيراً ، بل يحافظ على عصمته الأُولى إلى أيام المراهقة والشباب ، إلاّ أنّ الفساد الأُسروي أو الاجتماعي العارض يوقعه في الهاوية والهلاك.

فلا بدّ من التربية والإصلاح حتّى تكون الحياة الطيّبة ، والفضيلة هي

الحدّ الوسط بين رذيلتين : إحداهما الإفراط ، والآخر التفريط ، فهي الحدّ الوسط في الأفعال والانفعالات ، ولهذا لا يكون الإصلاح أمراً سهلا ، فإنّ معرفة الحدّ الوسط في كلّ شيء أمر صعب وشائك ، كما أنّ معرفة مركز الدائرة كذلك ، ودرك الحدّ الوسط إنّما يتمّ بالابتعاد عن الإفراط والتفريط ، فابتعدوا بالسفينة عن المستنقعات ذات الزبد والوغف.

ثمّ لا بدّ للإنسان الكامل من قيود الإنسانية ، وهي العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة والمكارم والفضائل الطيّبة ، وأمّا قيود الحيوان فهي الغرائز والشهوات غير المتناهية ، فالإنسان بين قيدين أو حرّيتين : حرّية إنسانية وحرّية حيوانية.

وللعادات دور أساسي في تقدّم الإنسان وتكامله ، أو انحرافه وانحطاطه ، وكما يقال : الخير عادة ، والشرّ عادة ، والتفكير في مقابلة أ يّة عادة هو جهاد مثمر وفعّال ، يوسّع في دائرة بصيرة الإنسان وعامل مهمّ في تقوية الإرادة . وإنّ كثيراً ممّن تركوا طريق الهداية والرشاد إلى سُبل الضلال ، إنّما هو لمسامحتهم في التفكير وعدم دقّتهم في ذلك ، وبهذا يقال : تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة.

وعند بزوغ شمس الإسلام قد قُضي على العادات الجاهلية الضارّة التي كانت سبباً لضياع أُمّة وسقوطها في الهاوية ، وأبدلها بالعقل والوجدان وتربية النفس وتهذيبها بالأخلاق الحميدة بالبرهان والشهود ، فبنى مجتمعاً سعيداً يسوده العلم والمعرفة والتقدّم والازدهار ، فأبدل العادات السيّئة إلى عادات حسنة.

قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) :

غالبوا أنفسكم على ترك المعاصي ، يسهّل لكم مغادرتها إلى الطاعات[٧].

وقال (عليه السلام) :

غالبوا أنفسكم على ترك العادات ، وجاهدوا أهواءكم تملكوها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً.

وكان الإمام السجّاد (عليه السلام) يقول وهو ينصح أبناءه :

اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدٍّ وهزل ، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير[٨].

والإنسان بطبيعته قد زرع الله في وجوده بذور ميول مختلفة وهي غرائزه ، وبها لا يمكن أن يصل إلى سعادته ، بل بإمكانه أن يصل بها إلى كماله الحيواني بحسب الوديعة التكوينيّة ، فلمّا شرف الإنسان

على الحيوان ألهمه العقل ، ليعرف سبيل سعادته فيخطو في طريقها بخطوات ثابتة وناجحة حتّى يصل إلى كماله اللائق به ، وباعتبار غرائزه وعقله ، دار نزاع في وجوده بين الأهواء والعقل ، والسعيد من جعل زمام أهوائه بيد العقل ، فالإنسان بين الميول الغريزية وطغيانها وانحرافاتها وإفراطها ، وبين نورانية العقل وحكومته العادلة والمستقيمة.

فالعقل من أكبر النعم الإلهية التي وهبها الله سبحانه للإنسان ، فجعله أشرف مخلوق ، ومرفوع الرأس.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

أفضل حظّ الرجل عقله ، إنّ ذلّ أعزّه ، وإن سقط رفعه ، وإن ضلّ أرشده ، وإن تكلّم سدّده.

وكان العقل هو الحجّة الباطنة كما ورد في الحديث الكاظمي (عليه السلام) :

إنّ لله على الناس حجّتين : حجّة ظاهرة وحجّة باطنة ، فأمّا الظاهرة ، فالرسل والأنبياء والأئمة ، وأمّا الباطنة فالعقول.

ولمّا كانت العقول متفاوتة ، فإنّه يلزم تفاوت المسؤوليات أيضاً ، كما أنّ الثواب والعقاب يكون متفاوتاً ، وكلّ يحاسب على قدر عقله ، ويكلّف بمقدار طاقته ، وهذا من العدل الإلهي.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

إنّما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا.

والإسلام له الإلمام التامّ بقيمة العقل وقدره وميدان عمله وحكومته ، وبهذا اعتنى بتربية العقل غاية العناية ، فلا يرضى له إلاّ العلم واليقين ، وينكر منه الظنّ والوهم والجهل.

وأسمى فضيلة للعقل هو معرفة الباري عزّ وجلّ ، وذلك من خلال الفكر والتأمّل والتدبّر في آيات الله.

وربما العقل يكدّر صفوه ويقلّ نوره إذا غلبته الأهواء ، فإنّ العقل مقصوده ضبط الأهواء والميول والغرائز الحيوانية ، ولكن ربما تغلب الشهوة على العقل ، فتطفئ نوره فيتخبّط الإنسان ويتيه ويعيش في ظلام الجهل واتباع الملاذّ والشهوات والهوى ، فيكون في أسفل السافلين ، بعد أن قدّر له أن يكون في أعلى عليّين في عداد الملائكة . بل عند مليك مقتدر في مقعد صدق ، أحياءٌ عند ربّهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله.

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَ نَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ا تَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٩].

(بَلِ ا تَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أهْوَاءَهُمْ بِغَيْر عِلْم)[١٠].

(وَلَو اتَّبَعَ الحَقُّ أهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)[١١].

(أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ وَأضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْم)[١٢].

والاستيلاء على الأهواء من الأُمور الصعبة جدّاً ، فلا سبيل لنا إلاّ المجاهدة ، وهو الجهاد الأكبر :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[١٣].

(وَأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى)[١٤].

وخوف الله ثمرة العلم :

(إنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)[١٥].

والضمير الأخلاقي[١٦] ليس الغرائز المكبوتة كما عند (فرويد) ، بل عامل مهمّ في تعديل الغرائز النفسانية ، وأرضية مستعدّة للتهذيب ولتنوير العقول . فليس الإنسان مجموعة من الغرائز والميول وحسب ، بل هو جسم وروح وعقل ، أو قل هو قلب وعقل ، وبهما يصل إلى الكمال المطلق والجمال المطلق.

فهدف الإنسان هو الكمال ، وأرضية الكمال هو الفطرة السليمة ، وأسباب الكمال هو العقل والقلب ، وطريق العقل هو الفكر ، وطريق القلب هو الذكر ، وتعليمهما وتربيتهما بالأخلاق الطيّبة والفضائل والمكارم والعلوم والفنون.

إنّ لإرادة الخير واجتناب السوء والشرّ في كيان الإنسان جذوراً فطريةً ، وإنّها قد أودع الله في باطن كلّ إنسان كرأسمال لسعادته ، وإنّها المعجون الأوّل لعلم الأخلاق وهو الإلهام الإلهي الذي ألقاه في النفس :

(وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا * فَأ لْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أ فْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[١٧].

فكلّ واحد يجد في نفسه أنّ له مرشداً وهادياً إلى الحقّ وإلى الأخلاق الفاضلة ، وأ نّه يميّز بين الخير والشرّ ، فلا يحتاج إلى كتب أخلاقية معقّدة أو فلسفية غامضة ، بل يكفي أن يرجع إلى فطرته وقلبه السليم.

والإنسان إنّما تعلّم التمييز بين الخير والشرّ ، بين الفجور والتقوى في مدرسة الخلقة ومنذ البداية واليوم الأوّل ، وذلك من خلال الوجدان والضمير الأخلاقي ، فليس وليد التربية والتعليم . يكفيك شاهداً قوله تعالى :

(أ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَـيْـنَـيْنِ * وَلِسَاناً وَشَـفَـتَـيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[١٨].

فالضمير الواعي هو معلّم القلب في الأخلاق ، وهو يعلّم الإنسان السلوك الصحيح والحياة العفيفة :

(لا أُ قْسِمُ بِيَوْمِ القِـيَامَةِ * وَلا أُ قْسِمُ بِالنَّـفْسِ اللَّوَّامَةِ)[١٩].

فإنّها قيامة صغرى تضاهي القيامة الكبرى فقرن الله بينهما . فالضمير اليقظ والأخلاقي هو الصمّام أمام الذنوب والمعاصي والانحرافات وغلبة الأهواء والميول والغرائز.

والإسلام أولى عناية خاصّة بالضمير الأخلاقي ودوره في الفرد والمجتمع ، وإنّ البون بين من له ضمير أخلاقي ومن ليس له ذلك كالبون بين السماء والأرض ، والمجتمع إنّما ينال العدالة الاجتماعية فيما إذا كان الناس فيه يخضعون لعامل باطني فيهم ، يُشرف على أعمالهم ، ويقضي فيها بحكمه فيطيعونه ، فالإنسان الفائز يحتاج إلى العقل والضمير ، ورصيدهما إنّما هو الإيمان والتقوى ، فالإيمان صديق العقل ، والهوى عدوّه.

وقد خلق الله الإنسان مخيّراً ، وهداه النجدين ، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً ، إلّا أنّ أكثر الناس تجدهم غير شاكرين ، فقليل من عباد الله الشكور ، وأكثرهم لا يعقلون ، وإنّهم للحقّ كارهين . فيتّبعون أهواءهم :

(لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ)[٢٠].

زبدة الكلام :

إنّ الهدف وسرّ الخليقة وفلسفة الحياة هو تكامل الإنسان ، وكماله إنّما يكون بوصوله إلى الله سبحانه ، وأن يكون خليفته في الأرض ، بأن يكون مظهراً لأسمائه وصفاته ، وقد جعل الله لكماله أدوات تقف عليها من خلال التخطيط الآتي :

العاشقة

الفطرة الحسّي

الخيالي

العالمة الوهمي

العقلي

الهيولاني

بالملكة

النظري بالفعل

بالمستفاد

أدوات التكامل العقل التخلية

التحلية

العملي التجلية

الفناء في الله

الوجدان (الضمير الأخلاقي = النفس اللوّامة)

القلب

وحياة العقل بالفكر وحياة القلب بالذكر . وبهما يصل الإنسان إلى كماله وجماله ، وينال السعادة الأبدية ، دخول الجنّة ونعيمها ، ثمّ للإنسان أبعاد ثلاث لا بدّ من تربيتها سويةً ، كلٌّ في عرض الآخر ، وهي :

الجسم

أبعاد الإنسان الروح

العقل

والإسلام دين الكمال والجمال :

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[٢١].

---

[١] مقدّمة لكتاب (بيعة العاشقين) بقلم الفاضل علي مجبل الساعدي دام عزّه.

[٢] البقرة : ١٦٥.

[٣] الانشقاق : ٦.

[٤] النجم : ٤٢.

[٥] الشمس : ٩ ـ ١٠.

[٦] الحجرات : ٧.

[٧] غرر الحكم : ٥٠٨.

[٨]وسائل الشيعة ٣ : ٢٣٢.

[٩] القصص : ٥٥.

[١٠] الروم : ٢٩.

[١١] المؤمنون : ٧١.

[١٢] الجاثية : ٢٣.

[١٣] العنكبوت : ٦٩.

[١٤] النازعات : ٤٠ ـ ٤١.

[١٥] فاطر : ٢٨.

[١٦] أي الوجدان أو النفس اللوّامة.

[١٧] الشمس : ٧ ـ ١٠.

[١٨] البلد : ٨ ـ ١٠.

[١٩] القيامة : ١ ـ ٢.

[٢٠] الأعراف : ١٧٩.

[٢١] آل عمران : ٨٥ .

أنشودة الحياة

العشق أُنشودة الحياة ، وسيبقى نشيد العشّاق خالداً بخلود الزمان ، ويطرب الكلّ على نغمات الحبّ والعشق ، تجذبهم نسمات الجوى إلى وادي الهيام والفناء في جمال المعشوق ، ولا يمكن لأحد أن ينكر آثار الحبّ والهوى ، فأجمل الأشعار والأناشايد ، وأبدع الصور والتماثيل ، وأروع الحوادث والقصص ، وحتّى الوقائع السياسية والفتوحات العسكرية إنّما هي نتائج الحبّ والعشق.

ثمّ للعشق وجوه متفاوتة ومختلفة ، بدايتها العشق الجنسي بين الأُنثى والمذكّر ، فهناك جذبة باطنية تنتهي بمعانقتهما ومغازلتهما ، ليبقى النوع بتوالدهما ، وهذا العشق سار في النباتات والحيوانات والإنسان ، وفي عالم الحيوان ربما ينتهي العشق الجنسي إلى سفك الدم والقتل من أجل الوصول إلى المعشوقة ، وربما البلابل تصدح وتغرّد بعشق الزهور والورود في أيام الربيع.

ثمّ يتقدّس العشق الجنسي بعشق الأُمّ لأولادها ، ويزداد طهارةً ونزاهة عندما يكون المعشوق نزيهاً وجميلا ، فينتهي العشق إلى العشق الحقيقي وهو حبّ الله جلّ جلاله ، ويكون الإنسان الكريم خليل الله وحبيبه ، كشيخ الأنبياء إبراهيم وخاتمهم محمّد (عليهما السلام) ، فكان إبراهيم الخليل (عليه السلام) حنيفاً طالباً للحقّ مسلماً لله سبحانه ، وفي مقام الحبّ والعشق والعبادة لم يشرك بالله أحداً ، فإنّ العاشق يكون موحّداً لا يرى إلاّ وجه المعشوق وجماله.

وفي القرآن الكريم وإن لم يرد كلمة العشق ، وذلك ربما لعدم أُنس العرب آنذاك بهذه الكلمة ، إلاّ أ نّه ورد كلمة الحبّ والشوق والشغف ، وهي مرادفات العشق فيحبّون الله ، والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله ، يبتغون وجه الله ، فهم أولياء الله ، والولاية تعني نهاية الحبّ والفناء في المحبوب ، والإيمان عمل القلب وإنّه يعني الحبّ لله ، وأنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إلاّ ما أُشرك به ، فإنّه لا يرضى لنفسه أن يكون له شريكاً ، بل يريد أن يكون هو المعشوق الأوّل والأخير للإنسان الذي جعله خليفته في الأرض ، وعلّمه الأسماء كلّها ، فمن يرجو لقاء ربّه فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ، وقد ثبت أنّ شرط قبول الأعمال ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وهل الولاية إلاّ الحبّ ، وهل الدين إلاّ الحبّ والبغض ، الحبّ لله وأوليائه والبغض لأعدائه وأعدائهم ، وما أكثر المناجاة والأدعية التي تشير إلى الحبّ والعشق :

« اللهمّ إنّي أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك ».

« وحبّب إليَّ لقاءك ».

« يا غايتي في رغبتي ».

« واجعل قلبي بحبّك متيّماً ».

وسرّ العشق في المخلوقات هو الفقر الذاتي والاحتياج المكمون في حقيقتهم ، فالعشق سير من الفقر إلى الغنى ، ومن العدم إلى الوجود ، ومن النقص إلى الكمال ، ومن القبيح إلى الجميل . والعشق بحر موّاج متلاطم ، بعيد الأطراف عميق الغور ، لا ساحل له.

وما دام الفقر والاحتياج فإنّه تكون الحركة والحياة ، ورأس المال في الحركة هو الرجاء والأمل في الحياة ، فيبذل الإنسان ما يوسعه ، ويسلك الطريق الوعر وذات الأشواك بكلّ شوق وعشق حتّى يصل إلى محبوبه ومعشوقه ، فالعشق يعني الحرارة والعمل ، ونتيجتهما الحركة نحو المعشوق ، وهذه الحركة في كلّ الخلق من ذرّاته وحركة الألكترون حول البروتون ، وإلى المجرّات والمنظومة الشمسية ، وحركة الكواكب السيّارة حول الشمس ، وإلى حركة الإنسان من عشقه الجنسي ، وإلى عشقه العرفاني.

وكلّ ما يقال في العشق من الوصف ، فإنّما هو نسيم من حدائقه الناظرة ، وبساتينه الفيّاحة.

وقبلة العشّاق جمال المعشوق ، وصلاتهم نحو الجمال ، فيفنى العاشق في إرادة المعشوق ، لا أن يحلّ فيه أو يتّحد معه ، وما يقال في هذا الباب إنّما هو تسامحٌ في التعبير ، ومن ضيق العبارات ، بل بمعنى أنّ العاشق يكون وجهاً للمعشوق ، ومرآةً لجماله ، فيمكن أن نرى المعشوق من خلال عاشقه ، لما يحمل العاشق من أوصاف معشوقه ، وبهذا كان الأنبياء والأوصياء هم وجه الله سبحانه وتعالى.

منازل العشق

ثمّ ممّا يلوح في الأدب العالمي كثيراً ، ولا سيّما في الأدب الفارسي ، حديثهم عن العشق وجذباته وسكره وجذواته ، وأنّ للعشق مدائن سبعة : أوّلها الطلب ، ثمّ العشق ، ثمّ المعرفة ، ثمّ الاستغناء ، ثمّ التوحيد ، ثمّ الحيرة ، ثمّ الفناء . وبه يصل العاشق إلى مقام الجذبة والاطمئنان والتوحّد ، وأنّ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة.

والعشق نار يحرق كلّ ما سوى المعشوق ، وإنّه بحكم الماء ، يُرى الألوان فيه ولا لون له ، والعقل ما يدرك به الأشياء ويعرف به حدودها وماهيّاتها فيتقيّد ، وإن تجاوز القيد فإنّه يدخل في اللامتناهي فيكون العقل عاشقاً ، والعاشق عقلا ، فالعقل قبل عشقه كالشمع يضيء أمام الأقدام ، وبعد عشقه يكون كالشمس يضيء العالم ، فالعشق هو الرتبة العالية والمرتبة السامية للعقل ، بل هو قمّة العقل وذروته ، وإذا قيل : الحبّ يعمي ويصمّ ، فإنّه يعني يعمي عن رؤية غير المعشوق ، ويصمّ عن كلام غير المعشوق ، فلا يرى إلاّ معشوقه ، فيصل بالعشق إلى مقام التوحيد ، ثمّ الفناء ، فلا إله إلاّ الله عزّ وجلّ ، وحينئذ ينظر بنور الله ، ويسمع بنور الله ، ويكون سبحانه بصره الذي يبصر به ، وسمعه الذي يسمع به ، فكيف الحبّ يعمي ويصمّ ؟ ! وبالعشق يصل الإنسان إلى بحار المعارف ومدائن المعرفة ، ويدخل شوارعها وأزقّتها وبساتينها ودورها . باحثاً عن الحقّ والحقيقة :

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أ نَا مِنَ المُشْرِكِينَ)[١].

فيستغني العاشق بغنى معشوقه :

(لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار)[٢].

فيصل إلى مقام التوحيد ، وأ نّه ليس في الدير ديّار إلاّ هو ، وأ نّه يستحقّ العشق والعبادة ، فيصل من الكثرة إلى الوحدة :

(قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ)[٣].

فيصل إلى وادي الدهشة والحيرة ، ومن عرف الله كَلّ لسانه ، وعيّ بيانه ، فيفنى في محبوبه ، فيكون مرآة جماله ، فيا ليت قومي يعلمون.

---

[١] الأنعام : ٧٩.

[٢] المؤمن : ١٦.

[٣]النساء : ٧٨.

الوحدة والتكثّر

كلّ ما في الوجود من الموجودات المتكثّرة قد تنتهي إلى الوحدة ، وإنّ مقام الوحدة هو مقام الجمال ، وذكره (الحمد لله) ، كما أنّ مقام الكثرة مقام الجلال ، وذكره (سبحان الله) ، والأوّل هو الحقّ ، والثاني هو الخلق ، فمن الحقّ إلى الخلق ، ومن الخلق إلى الحقّ ، وكلّه بالحقّ.

ثمّ إنّ أصناف الموجودات مع تكثّرها تنقسم إلى قسمين : الروحاني والجسماني ، ويعبّر عنهما بالدنيا والآخرة ، والملك والملكوت ، والغيب والشهود ، والخلق والأمر ، والصورة والمعنى ، وغير ذلك.

والروحاني ما لا يدرك بالحواسّ الخمسة الظاهرية من السمع والبصر والذائقة والشامّة واللاّمسة ، كما لا حيّز له ، ولا يقبل القسمة والتجزّي ، بخلاف الجسماني.

وكلّ واحد منهما ينقسم إلى عوالم علويّة وعوالم سفليّة ، والعِلويّات نورانية لطيفة ، والسفليات ظلمانية كثيفة ، فتركّبت المخلوقات بعضها من بعض :

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا)[١].

فظهرت المتكثّرات بما لا يعدّ ولا يحصى :

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ)[٢].

(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٣].

ومن زواج العلوّ الروحاني والعلوّ الجسماني ، تولّدت السماوات والملائكة ، وعُبّر عن النوعين بيومين ، كما قوله تعالى :

(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَات فِي يَوْمَيْنِ)[٤].

ومن الزواج الأسفل الروحاني مع الأسفل الجسماني ، تولّدت أنواع أربعة : مركّبات العناصر والنباتات والحيوانات والإنسان ، وعُبّر عنها بأربعة أيام في قوله تعالى :

(فِي أرْبَعَةِ أيَّام سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ)[٥].

فخلق كلّ ما في السماوات والأرضين وما بينهما في ستّة أنواع :

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أيَّام)[٦].

وما تعلّق بالأسفل الروحاني بمركّبات العناصر ، سُمّي بالنفس النامية ، وهي في النباتات ، وما تعلّق من الروحاني في النباتات تولّد منه الحيوانات ، وتولّد من النفس الحيوانية الإنسان ، فالإنسان فيه روح نباتية ، وهي الحياة النامية ، وفيه الروح الحيوانية ، وهي الحيوان الحسّاس المتحرّك بالإرادة ، وفيه النفس الناطقة والروح الإنسانية ، وإنّه يدرك الكلّيات بقوّة درّاكة وبعقله الذي امتاز به عن العجماوات ، فكان الإنسان قاب قوسين أو أدنى في أعلى عليّين ، ثمّ مرّ بكلّ العوالم المُلكية والملكوتية ، حتّى وصل إلى أسفل السافلين ، وجعل الله فيه
الاختيار ، فإمّا شاكراً بصعوده إلى كماله الأوّل قاب قوسين أو أدنى ، عند مليك مقتدر ، في مقعد صدق ، وإمّا في النار وفي أسفل السافلين كالأنعام بل أضلّ سبيلا :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيم * ثُمَّ رَدَدْ نَاهُ أسْفَلَ سَافِلِينَ)[٧].

وذلك باختياره الكفر والضلال والعمى ، فالإنسان حمل الأمانة الإلهية التي لم تحملها السماوات والأرض ، فاختصّ بكمال ليس في خلق الله ، إذ جعله خليفته في الأرض ، لتتجلّى أسماء الله وصفاته فيه ، فيكون مظهراً لجماله وجلاله سبحانه :

(ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)[٨].

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[٩].

وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله ، بأن يوفّقه للعمل الصالح ، والعمل الصالح يرفعه ، ويرتفع العلّة الفاعلة برفعة المعلول ، فيترفّع الإنسان بعمله الصالح إلى ربّه الكريم.

وقد خلق الله الأشياء من أجله ، كما خلقه من أجله جلّ جلاله . فمن التكثّر يصل الإنسان إلى مقام الوحدة والفناء فيه ، فلا يريد إلاّ ما أراده الله سبحانه ، فيكون رضاه في رضاه ، وغضبه في غضبه.

---

[١] يس : ٣٦.

[٢] المدّثّر : ٣١.

[٣] يس : ٨٣ .

[٤] فصّلت : ١٢.

[٥] فصّلت : ١٠.

[٦] الفرقان : ٥٩.

[٧] التين : ٤ ـ ٥.

[٨] المائدة : ٥٤.

[٩] العنكبوت : ٦٩.

متعلّقات
الحبّ والعشق

الرغبة والحبّ ، هو الميل القلبي والباطني نحو المحبوب والمرغوب ، ويقابلهما البغض والكراهة.

والحبّ في الإنسان تابع للقوّة الدرّاكة فيه ، وإدراكه باعتبار حواسّه الظاهرية والباطنية وقوّته العاقلة ، فيكون محبوبه حينئذ باعتبار ما يتلاءم مع نفسه ، وأنّه تارةً باعتبار جسده ، فيتولّد منه الحبّ الحسّي والجسدي ، كحبّ النساء في إشباع الغريزة الجنسية ، وأُخرى باعتبار ملاءمته للروح ، فيتولّد منه الحبّ الروحي كحبّ العلم والفن.

فمدركات الإنسان الملائمة له تكون في الواقع هي أنواع محبوبيّته ، وإن أفرط في الحبّ وازداد حبّاً ، فإنّه يصل إلى درجة العشق ، فتكون المحبوبات معشوقاته ، وأقوى المدركات هي مدركات العقل ، فألذّ اللذائذ هي الإدراكات العقلية عند أهله ، وكلّما ازداد العقل وذلك بالعلم ولقاح المعرفة ، ازداد الحبّ ، حتّى يصل إلى درجة العشق ، وذلك عندما يدرك الإنسان جمال الشيء وحقيقته.

والجمال إمّا أن يكون باطنياً أو يكون ظاهرياً ، فينقسم حينئذ إلى جمال ظاهري ، وجمال باطني.

فمن الجمال الحسّي والظاهري الطيب والنساء ، ومن الجمال الباطني والروحي الصلاة.

وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف :

أُحبّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرّة عيني الصلاة.

وهذا يعني ما كان مقدّمة لقرّة العين وهي الصلاة ، وهي الجمال الباطني ، فإنّه يكون من الحبّ الممدوح ، فينقسم الحبّ باعتبار متعلّقاته إلى الحبّ الممدوح والحبّ المذموم ، كما ينقسم باعتبار مبادئه إلى أقسام ، كحبّ النفس وحبّ الغير ، وحبّ الإحسان والخير ، ثمّ الحبّ كلّي تشكيكي قابل للشدّة والضعف ، والزيادة والنقصان ، فله مراتب طولية وعرضيّة.

ومن أجمل مصاديق الحبّ والعشق : هو حبّ الله ، وحبّ رسوله وأنبيائه وأوليائه ، وحبّ العقائد السليمة والصحيحة ، والأخلاق الممدوحة.

ومن أقسام الحبّ ما يتمّ فيه المشاركة ، كحبّ الصبي للصبي ، والتاجر للتاجر ، باعتبار المشاركة في الوصف الظاهري من الصباوة والتجارة وما شابه ذلك ، وكلّما كان السبب أقوى كان الحبّ أشدّ

وأقوى ، حتّى يصل إلى درجة العشق ، كما ذكرنا ذلك تكراراً لزيادة التقرير.

وللإنسان غرائز عديدة ، من أهمّها (غريزة الحبّ) ، وكلّ موجود في حركته الجوهرية ـ كما عند صدر المتألهين ـ فيه قوّة الحبّ ، وإنّه عاشِق لكماله المودوع في جبلته ووجوده ، فكلّ شيء يُسبحُ ويُسبِّح بحمد ربّه ، ويتحرّك نحو كماله بدرك جمال المحبوب والمعشوق ، وكمال المحبوب والمعشوق هو الله سبحانه.

ثمّ يتولّد من الحبّ الشوق ، ومن الشوق الوصال ، ومنه الأُنس ، ثمّ الفناء في المحبوب والمعشوق ، وهو كمال الحبّ والعشق.

وقيل : الغريزة الجنسية بين الزوجين هي العشق الحيواني ، وهي الشهوة الجنسية التي في الحيوانات أيضاً ، ولكن في منطق القرآن الكريم إنّما العشق بين الزوجين عبارة عن المودّة والرحمة الإلهيّة :

(وَجَعَلَ بَـيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)[١].

وهو العشق الإنساني.

وأساس العشق هو حبّ الكمال ، وكلّ ممكن فيه الوجود ، فباعتبار وجوده ، يكون محبّاً وعاشقاً ليصل إلى كماله . وهو إمّا أن يكون طبيعياً ، كعشق الحجر الساقط ليصل إلى مكانه الطبيعي ، أو اختيارياً كعشق الإنسان لغيره.

مراتب الحبّ :

ثمّ للحبّ مراتب :

أوّلها : الهوى ، وهو الميل الباطني نحو المحبوب.

ثانيها : العلاقة ، وهو الحبّ الملازم للقلب ولا ينفكّ عنه.

ثالثها : الكلَف ، وهو شدّة الحبّ.

رابعها : العشق ، ما يزيد على الحبّ.

خامسها : الشعف (بعين مهملة) ، وهو إحراق القلب بزيادة الحبّ.

سادسها : الشغف (بغين معجمة) ، يصل الحبّ إلى غلاف القلب.

سابعها : الجوى ، وهو الحبّ الباطني.

ثامنها : التيم ، يطلب المعشوق الحقيقي : « واجعل قلبي بحبّك متيّماً »[٢].

تاسعها : التَبْل (بفتح التاء وسكون الباء) ، من شدّة الحبّ يتغلّب

عليه الوجع والمرض.

عاشرها : التدلية (بفتح التاء وسكون الدال) ، ينتهي إلى زوال العقل.

الحادي عشر : الهيوم (بضمّ الهاء والياء) ، وهو الفناء في المعشوق ، فلا يرى إلاّ المعشوق ، كهيام قيس في حبّ ليلى.

---

[١] الروم : ٢١.

[٢]دعاء كميل.

جدال العقل والعشق

كان في قديم الزمان ، في الأدب العالمي ، لا سيّما في الأدب الفارسي والثقافة الفارسية ، وكذلك الأدب الأوربي[١] ، حكاية الجدال العنيف بين العقل والعشق ، ولمّا كان مركز العشق هو القلب ، فالجدال يرجع في الواقع بين العقل والقلب ، والإنسان وإن كان ظاهره يتألّم بلسعة البقّة ، وتقتله الشهقة ، إلاّ أ نّه في باطنه ووجوده يحيط بالعالم الميتافيزيقي وما وراءه من الروح الإلهيّة ، وإنّ فيه انطواء العالم الأكبر :

أتزعم أ نّك جرمٌ صغير *** وفيك انطوى العالم الأكبر

(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)[٢].

وإنّه ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه أنّ سمائي وأرضي لا تسعني ويسعني قلب عبدي المؤمن ، فيكون قلبه حينئذ عرش الرحمن وحرم الله جلّ جلاله.

والعقل لغةً : من عقال البعير لضبط ركبتيه عند بركه ، وليكون تحت تصرّف صاحبه ، وللعقل معنى اسمي وآخر مصدري . والثاني بمعنى الإدراك للأشياء ، والأوّل حقيقة يميّز بها الخير من الشرّ ، والحقّ من الباطل.

والعقل اصطلاحاً : بمعنى ضبط الأهواء ، ويقابله الجنون والسفه والحمق والجهل . ويأتي العقل بمعنى الفهم أيضاً ، كما له تعاريف أخرى في علوم شتّى ، فهو جوهر مجرّد ذاتاً وفعلا ، أو وجود منبسط ، فإذا كان العقل كانت الأشياء ، أو القوّة الدرّاكة للكلّيات ، أو القوّة الدرّاكة للخير والشرّ ، أو ملكة تدعو إلى الخير ، أو الملكة لتنظيم أُمور المعاش ، أو القوّة المدركة المطلقة التي تنقسم إلى العقل النظري والعقل العملي ، والأوّل ينقسم إلى العقل الهيولائي وبالملكة وبالعقل وبالمستفاد ، والثاني إلى التخلية والتحلية والتجلية والفناء . أو العقل هو الروح القدسي الموجود بالفعل ، وهو العقل الفعّال الذي يخرج ما بالقوّة إلى ما بالفعل ، وهو العقل العاشر

عند الفلاسفة المشّائين.

قال الإمام الصادق في تعريف العقل :

« هو ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان ».

وهذا من التعريف باللازم ، وأوّل ما خلق الله في عوالم الشرف هو العقل ، وذلك من نور مخزون مكنون ، في سابق علمه ، الذي لم يطلع عليه ، لا نبيّ مرسل ، ولا ملك مقرّب.

وأمّا القلب فهو معروف عند الجميع ، وهو مركز الإدراكات والأحاسيس والعواطف ، وإنّه وراء القلب الصنوبري الذي في القفص الصدري لتصفية الدم ، وما جاء في الآيات والروايات من ذكر القلب والقلوب وأوصافها وأقسامها إلى ممدوح ومذموم ، إنّما هو المعنى الروحاني والمعنوي للقلب ، وكذلك الصدر والفؤاد ، وعند العامّة يطلق القلب على النفس أيضاً عندما يقال : قلبي يشتهي هذا ، أي نفسه تشتهيه[٣].

ويرجع تاريخ الجدال الموهوم بين العقل والعشق إلى القدماء من الفلاسفة ، فإنّ أفلاطون تلميذ سقراط يقول بالمثل[٤] وبالإشراق ، وتلميذه أرسطوطاليس يذهب إلى البرهان العقلي ويفنّد المثل ، وقد اشتهرت فلسفته بالمشائية ، فالنزاع بين الإشراقيين والمشّائيين ، ومن ثمّ بين أصالة الوجود وأصالة الماهيّة ، وبين العرفاء القائلين بالشهود والذوق وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة ، ومن ثمّ تطبع فيها حقائق الأشياء إشراقاً ، وبين الفلاسفة القائلين بالأدلّة العقليّة والصغرى والكبرى والنتيجة ، وبالحجّة والبرهان العقلي ، ثمّ موضوع الفلسفة هو : (الموجود بما هو موجود أو الموجود المطلق) وموضوع العرفان (وجود الحقّ سبحانه بين الارتباطين).

والواقع لا اختلاف بين الموضوعين في المآل والنتيجة ، وهذا ما نعتقده ونقول به ، فإنّ العقل نور من الله جلّ جلاله ، وبه يعبد ويكتسب جنانه ، كما أنّ القرآن نور ، وكلام الأئمة الأطهار نور ، والرسول الأعظم نور وسراج منير ، وخلق الله آدم فتجلّى فيه مصباح ، وخلقت الملائكة من النور ، والله سبحانه نور السماوات والأرض ، ومن نوره خلق النور.

والعشق نور ونار ، فنورانية العشق مع نورانية العقل من باب (نورٌ على نور) يهدي الله لنوره من يشاء ، فمن أصابه من ذلك النور كان من المهتدين.

ولا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها ، فكان من وسع الإنسان أن يحمل النورين : نور العقل ونور القلب ، ومن الأوّل الفكر ، ومن الثاني العشق والذكر ، و (حملها الإنسان) إنّه حمل تلك الأمانة الإلهيّة ، إلاّ أنّ أكثر الناس غير شاكرين ، فقصّروا في حملها ، وكان الإنسان ظلوماً جهولا.

وفي الدعاء :

« اللهمّ اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي لساني نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعلني نوراً ، وأعظم لي نوراً ».

وحينئذ يكون الإنسان نورانياً بنور الله سبحانه ، فإنّه قد طلب في دعائه هذا النور من النور المطلق ومطلق النور ، وبهذا النور يكون عاقلا وعاشقاً ، فلا جدال حينئذ بين عقله وقلبه ، بل كلّ إلى ذاك الجمال والنور المطلق يسير ويشير.

فالعقل والعشق بمنزلة الجناحين لمن أراد أن يحلّق في سماء الفضائل ، ويصل إلى الجمال المطلق ومطلق الجمال.

فمعرفة الحقّ بالاستدلال والبرهان ، كما أ نّه بالذوق والإلهام والكشف والشهود.

والطرق إلي الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق ، إلاّ أنّ الصراط المستقيم إنّما هو صراط واحد ، فمن التكثّر إلى الوحدة ، ومن الجلال إلى الجمال ، ومن الخلق إلى الحقّ جلّ جلاله.

ونعتقد بحقيقة هذا العالم التكويني والذي نعيش فيه ، كما نعتقد بما وراء هذا العالم وكلاهما عندنا من الحقيقة ، وليس كما عند أفلاطون من القول بالمثل بأنّ هذا العالم ظاهر لعالم آخر واقعي وكلّي قائم بنفسه ، بل كلا العالَمين من الواقع ، والعقل يدرك ما في هذا العالم ، كما أنّ القلب يدرك ما في ذلك العالم ، وكلاهما من جنود الله سبحانه ، ومن العوامل الموصلة إليه عزّ وجلّ.

إلاّ أ نّه جلّ جلاله لا يكتنفه العقول ، ولكن يسعه قلب عبده المؤمن ، وبهذا ربما يتوهّم من لم يقف على الحقيقة ، أنّ بينهما جدال وصراع ، وأحدهما ينفي الآخر ، ويُسفّه طريقه ، فترى النزاع قائماً بين الفلاسفة والعرفاء ، وكلّ يدّعي الوصل بليلى ، والحال في الواقع كلّ إلى ذاك الجمال يشير.

نعم العشق يدلّ على الحياة الطيّبة أكثر ممّا يدلّ عليه العقل ، ويعطي للحياة جمالا خاصّاً ، وروحانيّة فائقة ، فإنّ القلب أوسع ظرفاً من العقل ، كما أنّ حكومة العشق أوسع دائرة من حكم العقل.

ولا يخفى أنّ علماء النفس لا سيّما المعاصرين منهم يبحثون أيضاً عن العشق ، إلاّ أ نّ محور دراساتهم حول العشق بين الرجل والمرأة ، أي العشق الجنسي ، فالكلّ حينئذ يحمل جوهرية العشق ، إلاّ أ نّه ربما يخطئ في المصاديق كما هو عند أكثر الناس ، فيعشق ما لا يستحقّ العشق ، والعقل هنا يظهر دوره وحكومته ، فإنّه يدلّ على العشق الحقيقي وكيفية ذلك . فمن الناس من يعشق والده أو أُمّه ، أو يعشق الفلسفة أو الفنّ ، أو يكون عاشقاً لله سبحانه.

وفرويد العالم النفسي الغربي يذهب إلى أنّ العشق هو عبارة عن الغريزة الجنسية ، ولكن هذا إنّما هو مظهر العشق الحيواني ،

فيلزمه أن يُحطّ من قيمة الإنسان ، ويُنزّله إلى حضيض الحيوانية ، بعد أن كان في مقام الإنسانية ، وإنّه بإمكانه أن يصعد إلى قمّة الكمال والجمال . ويكون في عداد الملائكة ، بل يتجاوزهم إلى قاب قوسين أو أدنى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والناس كما في عقولهم وإدراكاتهم العقلائية يتفاوتون ، وليس الكلّ على نمط واحد ، كذلك في عشقهم ، فإنّهم يختلفون في الشدّة والضعف ، كما يختلفون في متعلّقات العشق.

ثمّ العشق الحقيقي من أوصافه أنّ له قوّة خلاّقة ، توجب ترقّي الإنسان وتصعيده إلى قمّة السعادة وشموخ الكمال وصباحة الجمال.

ولأفلاطون الحكيم رسالة في العشق باسم (مائدة أفلاطون) يذهب إلى أنّ الحب والعشق في البداية ليس هو الميل نحو الجمال ، بل الحبّ في الإنسان هو الميل نحو التوالد والتناسل في محلّ جميل ، وذهب إلى هذه العقيدة من المتأخرين الكاتب الألماني (شوبنهاور) أيضاً ، ثمّ أفلاطون (على لسان سقراط) يعتقد أنّ نتيجة المحبّة في التوالد هو حبّ البقاء والخلود ، ثمّ يرى من قوى عنده الجانب العقلائي فإنّه يفكّر بخلوده من خلال فنونه وعلومه وإبداعاته الفكرية ، ثمّ يعتقد بالعشق المجازي وأ نّه قنطرة للعشق الحقيقي عندما يدرك الإنسان الجمال المطلق ، وأ نّه هو الذي يستحقّ العبادة والتقرّب إليه لا غير.

وقد تعرّضنا من قبل إلى العشق المجازي ومذمّته في الإسلام[٥] ، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن العشق ، فقال (عليه السلام) : « قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره » . فلا نعيد البحث طلباً للاختصار.

عودٌ على بدء :

ثمّ العقل البشري وإن كان المائز بينه وبين العجماوات ، وبه تشرّف على المخلوقات ، إلاّ أ نّه غير قادر على درك الله سبحانه : (لا تدركه الأبصار ولا يكتنفه العقول ، وهو يدرك الأبصار ويكتنف العقول ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء ، وقد أحاط بكلّ شيء علماً).

وكلّ ما تصوّره الإنسان في معرفة ربّه فإنّما هو مخلوق له ، وليس بخالقه . والعقل يدرك الماهيات في مثالها وصورها ، لا في وجودها الحقيقي الخارجي.

والعقل نور وبه يستضاء في معرفة الأشياء ، فيعلم بها ، والقلب نور يرى به الأشياء ، فالعقل علم والقلب رؤية ، ومركز الحبّ والعشق هو القلب.

وبالعشق يكون الشرّ خيراً ، والكريه جميلا ، والمرّ حلواً ، فالعشق موهبة إلهية يعطيها الله من أحبّه ، وكان أهلا للعشق . وربما لا يمكن تعريف العشق ووصفه ، فهو أعظم من الكلمات والألفاظ ، فكلّ

ما يقال في حدّه ورسمه ، فإنّما هو من باب شرح الاسم ، لا بيان ماهيّته وذاتياته ، فيتحيّر العقل عن إدراكه ويعجز القلب عن دركه وفهمه ، فكلّ ما يقال في تعريف العشق إنّما هو بيان حالاته وأوصافه ، وبيان أحوال العاشق والمعشوق ، وربما يصل العشق بأهله إلى أن يقال باتّحاد العاشق والمعشوق والعشق.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا *** نحن روحان حَلَلنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته *** وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال آخر :

روحه روحي وروحي روحه *** من رأى روحين عاشا في بشر

فما هو العشق ؟ وكيف يفعل بأهله حتّى يصل إلى مقام الفناء ؟ ! ويتجاوز الاثنينية والتكثّر إلى الوحدة والتوحّد.

ومرّ علينا أنّ لفظ العشق لم يستعمل في القرآن الكريم ، إلاّ أنّ هناك ألفاظ تدلّ على معنى العشق ومراتبه ، كالحبّ والودّ والتبتّل ، وفي اللغة العربية كلمات ترادف العشق في المفهوم والمعنى ، كالغرام والصبابة والوله والودّ والمقه والخلّة والكلف واللوعة والشغف والجوى واللعج والتدلية والهيم والتبتّل ، ومنها ما هي بمنزلة المراحل والمراتب ، كما مرّ.

وللحبّ علامات ودلالات ، حتّى لا يختلط الحقّ بالباطل.

لا تُخدعنّ فللمحبّ دلائل *** ولديه من تُحف الحبيب وسائلُ

منها تنعّمه بمرّ بلائه *** وسروره في كلّ ما هو فاعلُ

فالمنع منه عطيّةٌ مبذولةٌ *** والفقرُ إكرامٌ ولطفٌ عاجلُ

ومن الدلائل أن يرى من عزمه *** طوعُ الحبيبِ وإن ألحّ العاذلُ

ومن الدلائل أن يُرى متبسّماً *** والقلب فيه من الحبيب بلابلُ

ومن الدلائل أن تراه مشعراً *** في خرقتين على شطوط الساحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه *** جوف الظلام فما له من عاذل

ومن الدلائل أن تراه باكياً *** أن قد رآه على قبيح فاعل

ومن الدلائل أن تراه راضياً *** بمليكه في كلّ حكم نازل

ومن الدلائل زهده فيما ترى *** من دار زلّ والنعيم الزائل

ومن الدلائل أن تراه مسلّماً *** كلّ الأُمور إلى المليك العادل

ومن الدلائل أن تراه مسافراً *** نحو الجهاد وكلّ فعل فاضل

وكمال الإنسان بالعشق ، والعشق الحقيقي هو عشق الله سبحانه ، وهذا ما يسمّى بعشق العرفاء والعشق العرفاني ، وهو الذي ينتهي بالعاشق إلى رؤية جمال المعشوق ، فلا يرى شيئاً إلاّ ويرى الله قبله ومعه وبعده ، فليس في الدير ديّار إلاّ هو جلّ جلاله ، وهذا العشق الإلهي يرى في كلّ الموجودات ، فهو في حركتها الجوهرية عاشقة لله سبحانه.

وفي الصحيفة السجّادية :

« ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً ، واخترعهم على مشيته اختراعاً ، ثمّ سلك بهم طريق إرادته ، وبعثهم سبيل محبّته »[٦].

والعاشق ذاكر لمعشوقه ، فلا يغفل عنه ، والذاكر له درجات : أوّلها الميل الباطني نحو الذكر ، فيذكر بلسانه دون قلبه ، ثمّ يشتدّ الميل فيصل إلى مقام الإرادة القلبية فيذكر بلسانه وقلبه بتكلّف حضور القلب ، ثمّ يشتدّ الحبّ فيستولي الذكر على قلبه ، وهو مقام ذكر المحبّ ، ثمّ في نهاية الذكر يصل إلى مقام العشق فيستولي المعشوق على القلب ، فيهيم بحبّه ويتبتّل بذكره.

كما نشاهد هذه الحالات في عشّاق الله جلّ جلاله ، وعاشقي الحسين(عليه السلام) ، وما إقامة الشعائر الحسينية بكلّ مظاهرها ، من البكاء واللطم وسفك الدم ومشي ألف كيلومتر على الأقدام في الصحاري والبراري ، إلاّ آيات الحبّ والعشق الحسيني الذي هو من عشق الله سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أنّ ما يفعله العاشق ، لا يدركه العاقل.

وكيف للعقل الغربي المتوغّل بالمادّيات والرذائل ، ولمن يدور في فلكه من أنصاره وأتباعه أن يدرك ما يفعله المشاة العاشقون ؟ هيهات هيهات.

---

[١] اعلم أنّ الأدب الأوربي بفنونه وشُعبه يبتني على أصلين ، أو بالأحرى ينتهي إلى مدرستين : المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الرومانتيكية . ومحور الأُولى باعتبار العقل ورأس الإنسان ، والثانية باعتبار العشق وقلب الإنسان ، ومحتوى الأُولى الفكر ، ومحتوى الثانية الإلهام ، ونتيجة الأُولى الاستدلال ، ونتيجة الثانية العشق ، وينتمى إلى الأُولى الحكماء ، كما ينتمي إلى الثاني : العرفاء ، ومن غلب عليه أحكام قلبه يكون عاشقاً ، ومن غلب عليه الاستدلال والنظر يعدّ عاقلا ، ويحاول أرباب العشق أن يتخلّصوا من القيود الكلاسيكية ، كما أنّ أرباب العقل يسفّهون العشق ولوازمه ، ولا يزال الجدال بين المدرستين.

[٢]الحجر : ٢٩.

[٣] لقد ذكرت أحوال القلب في كتاب (حقيقة القلوب في القرآن الكريم) ،وهو مطبوع ، فراجع.

[٤] يرى أفلاطون إنّ عالم المحسوسات عالم ظاهري ومجازي ، وعالم المعقولات عالم واقعي وحقيقي ، ويتعرّض للمثل في جمهوريّته في قصّة الغار ، فراجع.

[٥]رسالة في العشق ، طبع في كتاب (الرافد) الجزء الأوّل ، سنة ١٣٩٨ هـ ، فراجع.

[٦]الصحيفة السجّادية : الدعاء الأوّل.

العشق العرفاني

العشق إنّما هو تابع لدرك جمال المعشوق ، والإدراك إمّا أن يكون حسّياً أو خيالياً أو عقلياً أو عرفانياً ، فالعشق يكون حسّياً أو خيالياً أو عقلائياً أو عرفانياً ، وعشق الإنسان في مقام الروحانيّة إنّما هو العشق العقلائي والعرفاني ، ويصل الإنسان إلى عشقه الإنساني بفطرته العاشقة ، كما يصل إلى العلم بفطرته العالمة ، والعشقان الأوّلان دنيويان ومن المادّيات ، والآخران أُخرويّان وأ نّهما أبديّان ويستوجبان معرفة الله وعبادته ، فإنّه سبحانه هو المعبود والمعشوق الحقيقي للإنسان.

والعشق الحسّي إنّما هو للجمال الحسّي ، كما أنّ العشق الباطني للجمال الباطني.

والإنسان في بداية الأمر يعشق نفسه ، ويحبّ ذاته ، وبهذا العشق يصل إلى معشوقه الحقيقي وهو الله سبحانه ، أي يصل إلى الكمال المطلق والجمال المطلق الذي هو بلا نهاية ، فهو الوجود الواحد الأحد ، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ، والفطرة العاشقة تطلب الجمال اللامتناهي ، وهذا ما يحكم به العقل السليم والفطرة التوحيدية التي لا غبار عليها.

وأمّا العشق عند الغربيين ، وعند دعاة التمدّن والتحضّر ، فإنّما هو حبّ الشهوات والملاذ ، كما عند فرويد وأتباعه ، فعندهم العشق يعني إشباع الغريزة الجنسية بأيّ نحو كان.

وقد وصف أمير المؤمنين هؤلاء بقوله (عليه السلام) :

« أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبّها ، ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، ويسمع بأُذن غير سميعة ، قد خرقت الشهوات عقله ، وأماتت الدنيا قلبه »[1].

وهذا نتيجة العشق الحسّي والخيالي إذا كان هدفاً ومحوراً في حياته الإنسانية ، وفي الحديث الشريف :

« رأس الآفات الوله بالدنيا ».

والعقل هو المخلوق الأوّل لله سبحانه ، فهو العاشق الأوّل لله ، وورد في الأحاديث الشريفة :

« بالعقل تنال الخيرات ».

و « أعقل الناس أقربهم من الله ».

و « أسعد الناس العاقل ».

فالسعيد هو العاشق ، وعشقه يدلّه على الخيرات ، وبها يتقرّب إلى الله سبحانه ، فالعقل يجذب الإنسان إلى ربّه فيعبده ، ويتّقيه حقّاً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« أفضل الناس من عشق العبادة ، فعانقها وأحبّها بقلبه ، وباشرها بجسده ، وتفرّغ لها ، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا ، على عسر أم على يسر »[٢].

ومن رأى جمال الله اطمأ نّت نفسه ، ويأتيه الخطاب الإلهي :

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي)[٣].

وفي مناجاة الذاكرين لسيّد الساجدين :

« إلهي بك هامت القلوب الواله ، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة ، فلا تطمئنّ القلوب إلاّ بذكرك ، ولا تسكن النفوس إلاّ عند رؤياك ».

والعاشق يرى في كلّ شيء وجه معشوقه ، ويقول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) :

« فما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله ومعه وبعده ».

فيخاف العاشق هجران معشوقه ، فلا يغفل عنه ولا يعصيه ، ونسمع الإمام الصادق (عليه السلام) يقول :

عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصيه ، فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع.

وبالعشق العقلائي يصل الإنسان إلى العشق العرفاني ، والأوّل يستلزمه معرفة جمال الصفات والأسماء ، والثاني يستوجب شهود الجمال ونفي الأغيار ورفع الحجب ، فيرى الجمال المطلق ومطلق الجمال ، بحسب طاقته البشرية.

(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ)[٤].

---

[١] نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨.

[٢] الكافي ٢ : ٨٣ ، باب العبادة ، الرواية ٣.

[٣]الفجر : ٢٧ ـ ٣٠.

[٤] سبأ : ٦.

من أحوال العاشقين

فراق الحبيب أليمٌ أليم *** وقلب المحبّ سقيمٌ سقيم

فمن كان في حبّه صادقاً *** بباب الحبيب مقيمٌ مقيم

وفي الحديث الشريف :

ألا إنّ لله شراباً لأوليائه ، إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتّصلوا ، وإذا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم.

« لا فرق بينك وبينهم إلاّ أ نّهم عبادك ، فتقها ورتقها بيدك ».

وفى الحديث القدسي :

عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أُحبّه ، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به ، وسمعه الذي يسمع به ، ويده التي يبطش بها.

ولله المثل الأعلى ، ألا لله في أيام دهركم نفحات فتعرّضوا لها ، إنّي لأشمّ نفس الرحمن من جانب اليمن ، إنّي لأجد ريح يوسف ، هو معكم أينما كنتم.

عباراتنا شتّى وحسنك واحدٌ *** كلّ إلى ذاك الجمال يشيرُ

هذه شمّة من حالات العشق والعاشقين.

ويمرّ أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في واقعة صفّين بأرض كربلاء المقدّسة ، فتنهمر دموعه من عينيه على وجناته ، ويعلو بكاؤه ونحيبه ، فيسألونه عن السبب ، فيروي لهم قصّة الشهادة وواقعة الطف الأليمة التي أبكت من في السماء والأرض ، ويقول في وصف أنصار الحسين (عليه السلام) :

« ها هنا محطّ رحال العاشقين ».

إنّه (عليه السلام) قد وصف قافلة سيّد الشهداء ورحلهم بالعشق ، ومنذ ذلك اليوم عرف العشّاق دربهم ، ولا يزال يتجلّى العشق ويتبلور بمصاديق جديدة من شعوب وجماهير وأمم عشقت الحسين (عليه السلام).

وسيّد العاشقين ومولاهم أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) يناغي معشوقه ويناجيه في ساحات الوغى ، وهو على الرمضاء مقطّع بالسيوف والرماح ، نبت السهم المثلّث بقلبه ، وعلى وشك

لقاء حبيبه ، فيترنّم ويتمتم بلغة العاشقين قائلا :

« رضىً بقضائك ، وتسليماً لأمرك ، لا معبود سواك ».

ولسان حاله :

تركت الخلق طرّاً في هواكا *** وأيتمتُ العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني في الحبّ إرباً *** لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

وما أروع لغة العشّاق ، فهذا عابس الشاكري ينزع لباس الحرب في أرض كربلاء ، ويقتحم ساحة المعركة.... ، فيقال له : (أجُنِنْتَ يا عابس ؟).

فيعلنها صرخةً مدويّةً لا زال صداها يدوّي في التاريخ ليقتدي به العاشقون : (إي والله ، لقد أجَنَّني حبّ الحسين).

فهل للعقل والعقلانية مجال بعد حكومة العشق ؟ !

وإليكم من مناجاة زين العابدين ، يقول (عليه السلام) :

« من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرامَ منك بدلا ، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حِوَلا »[1].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« يقول الله عزّ وجلّ : إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذّته في ذكري ، فإذا جعلت بغيته ولذّته في ذكري عشقني وعشقته ، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وصيّرت ذلك تغالباً عليه ، ولا يسهو إذا سها الناس ».

ولا يخفى أنّ ذكر النبيّ وآله الأطهار (عليهم السلام) إنّما هو من ذكر الله سبحانه ، كما أنّ حبّهم من حبّه ، وعشقهم من عشقه.

وإنّما يتبلور العشق العرفاني الإلهي لعشّاق الله وحزبه سبحانه ، في عشق وليّه وحبيبه الحسين (عليه السلام) ، ولا يرى عاشق الحسين إلاّ وجه معشوقه ، وإنّه ليقبّل الجدار والديار شوقاً وحبّاً ، ويطوي المنازل مشياً حتّى يتفطّر من قدمه دماً ، ولسان حاله :

وما حبّ الديار شغفن قلبي *** ولكن حبّ من سكن الديارا

إنّه يطوي البيداء ، غير مكترث بعذل عذول وبقيل قال وشتم شاتم ، بل ليعقد بيعته (بيعة العاشقين) مرّة أُخرى مع مواليه وأئمّته الأطهار ، مع صاحب عصره مولاه المنتظر بن فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

وما أروع المشي على الأقدام في أيام وليال ، حتّى أصبح موكب

المشاة رمزاً للعشق الحسيني في أيام أربعينه ، وما أصمد المشاة العشّاق ، فلا يثني عزيمتهم استهزاء المستهزئين ولوم اللائمين ، يل يزدادون عزيمة وبصيرة وشوقاً
واعتقاداً بصحّة المسير ، وثواب العمل.

فما أجمل مظاهر العشق ومواكب المشاة على حافّة الطرق في كلّ بقاع العالم ، فإنّ سُنّة المشي على الأقدام إلى وليّ الله من خير السنن ، فإنّ أفضل الأعمال أحمزها ، فأفواج العشق في كلّ بلدة تتوجّه في أربعين الحسين (عليه السلام)ـ إحياءً ونشراً للمذهب ـ من ديارها إلى وليّ من أولياء الله لتقول عملا لكلّ العالم : « ها هنا محطّ رحال العاشقين » ، وإنّهم ليشعرون في واقعهم قد سايروا الركب والضعن الحسيني مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) والحوراء زينب سلام الله عليها وعقائل الرسالة ومخدّرات النبوّة ويتامى الحسين (عليه السلام).

إنّه يشارك الموكب حاسراً باكياً ناعياً لاطماً صارخاً (أبد والله ما ننسى حسيناً).

ألا يا أ يّها اللائمون في الحبّ ، العاذلون في العشق ، كفّوا عنّا اللّوم والعذل ، لقد أجنّنا حبّ الحسين (عليه السلام) ، فلكم عقلكم ودينكم ، ولنا عشقنا وديننا . ويوم الحساب وعلى الصراط يتميّز الأطيب من غيره.

قسماً بمكّة والحطيم وزمزم ، وإنّي على يقين أنّ عشّاق الحسين (عليه السلام)والحرارة الحسينية لن تنقطع ولن تبرد إلى يوم القيامة ، وإنّ الشعائر الحسينية تزداد يوماً بعد يوم في ربوع الأرض ، وإنّها لتستمرّ حتّى ظهور مولانا القائم من آل محمّد عليهم السلام وعجّل الله فرجه الشريف ، ولو كره الحاقدون والمنافقون ، فإنّ نور الله لا يُطفأ ، ولو كره المشركون.

فهذه المظاهر ومنها المشاة إلى العتبات المقدّسة ، سواء الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أو أولادهم الكرام كزينب الكبرى والسيّدة رقيّة (عليهما السلام) سوف تشقّ طريقها بجماهيرها الغفيرة الذين اصطفاهم الله لإحياء الإسلام بإحياء الأربعين الحسيني وواقعة الطف الحزينة ، وديمومية الإعلام الزينبي عبر القرون والأحقاب ، وما من قطرة دم تسقط في هذا الطريق إلاّ ويشتدّ أغصان وأوراق هذه الشجرة المباركة ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أُكلها كلّ حين.

وختاماً :

لثمت أناملي الداثرة مخطوطة الجزء الثاني من كتاب (بيعة العاشقين) بقلم الأُستاذ الفاضل علي مجبل الساعدي دام مجده ، فسرحت بريد النظر وأجلت فيه البصر ، وطالعته في سويعات بعد منتصف الليل ، فشممت من نسيم أزهاره عطر الولاء والعشق الحسيني ، وأحبّ فضيلته أن أُشاركه في مقدّمة ، فأجبت سؤله الكريم ، ووددت أن أُضيف على كتابه القيّم ، فصلا جديداً سمّيته (

مناجاة المشاة العاشقين) ، يحتوي على الدعاء ، والمناجاة اقتبستها من المناجات الخمس عشر لمولانا وجدّنا الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، ومن أدعية أُخرى[٢].

عسى أن يحضى برضا المشاة الكرام ، فيقرأونه برجاء المطلوبيّة تقرّباً إلى الله سبحانه ، لا سيّما في الصحارى والوديان بصوت حزين وأنين ، وكم تمنّيت أن أكون ذلك الغبار الطاهر المعلّق على أرجل المشاة العشّاق المخلصين ... وليتني كنت المنديل المتواضع لأنشّف ندى جبين الساجدين ، لا سيّما بعد زيارة عاشوراء ، وأمسح دموع الباكين ، لا سيّما على سيّد الشهداء (عليه السلام).

فما أسعدكم أ يّها المشاة إلى الله وإلى وليّه ، يا عشّاق الحسين وأُمّه الزهراء البتول وأبيه أمير المؤمنين وجدّه رسول الله وإخوته وأهل بيته (عليهم السلام).

هينئاً لكم ، هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم ... أُحبّكم وأُحبّ الصالحين ولست منهم ، لعلّ الله يرزقني الصلاح.

يا إخوان الصّفا وأخلاّء الوفا ، أنا لا أنساكم من الدعاء ، وثقتي بكم أن لا تنسوا المؤمنين والمؤمنات من الدعاء والشفاعة ، وأملي فيكم أن لا تنسوا أيضاً خادمكم :

العبد

عادل العلوي

حوزة قم العلمية

٢٥ ذو الحجّة ١٤٢١ هـ ق

---

[١]مناجاة المحبّين ، من المناجات الخمس عشر في مفاتيح الجنان للشيخ القمّي (قدس سره).

[٢]وللعلماء والفقهاء العظام إنشاءات في الأدعية والمناجاة ، كآية الله العظمى المحقّق السيّد محمّد كاظم اليزدي (قدس سره) صاحب (العروة الوثقى) فيرسالة (الأدعية والمناجاة الكاظميّة) ، وهو مطبوع ، فراجع.

مصادر في الحبّ والعشق

هذه مجموعة من المصادر والمراجع ـ باللغة العربية والفارسية ـ في الحبّ والعشق ، توجد في مكتبة سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي بقم المقدّسة ، أدرجناها لمن أراد المراجعة والتحقيق.

١ اسرار عشق اسد الله ايزد

٢ أسرار العشق محمّد الغزالي

٣ انسان و عشق هيئت تحريريه در راه حق

٤ پسيك آناليز و عشق تريدن آندره

٥ تاريخ عشق مارسل فرانسوى

٦ چهار باغ آتش عشق مستر رينولد

٧ تساوى عشق سيد فخر الدين طاهرى

٨ جدال تاريخى عقل و عشق كاظم محمّدى

٩ جذوه اى از شراره عشق حسين عباس رانحى

١٠ حديث عشق در شرق ژان كلود

١١ حظائر القدس محمّد حسينى

١٢ دو رساله عرفانى در عشق احمد غزالى

١٣ رساله عشق و عقل خضر نجم الدين

١٤ رساله ميهمانى الهى افلاطون

١٥ رمز و راز عشق محمّد كرمانى

١٦ روانشناسى عشق وزيدن لب آينباس

١٧ زندگى با عشق چه زيباست بوسكاليالئو

١٨ سر جنسيت يا رواناسى عشق سپهرى

١٩ سعدى و نراقى در عشق و اخلاق محمّد على عابدى پور

٢٠ شاهکار عشق یا شور عاشوراء شمس محمّد

٢١ شرارهای عشق و احساس عبد الله روحی

٢٢ شرح عشق مهدی خلیلیان

٢٣ شور عشق و جوانی تاك

٢٤ شیخ بهائی در آینه عشق اسد الله بقائی

٢٥ عاشقانه ها رضا معصومی

٢٦ عشق بزرگان علی اکبر کسمائی

٢٧ عشق صادق محمّد ابراهیم مولوی

٢٨ عشق محمّد (صلی الله علیه وآله) سید محمّد امین نقوی

٢٩ عشق مصطفی اعجاز مصطفوی

٣٠ عشق مقدس حسینقلی مستعان

٣١ عشق و پرستش مهدی بازرگان

٣٢ عشق و پیری ابراهیم وحید دامغانی

٣٣ عشق و رستگاری احمد شیرازی

٣٤ عشق و عاشق و معشوق کاظم محمّدی

٣٥ عشق و عرفان صبور داریوش

٣٦ عقل و عشق نجم الدین رازی

٣٧ عقل و عشق ترکه اصفهانی

٣٨ گزیده منطق الطیر الهی قمشه ای

٣٩ مظهر عشق خواجه ارشد

٤٠ منطق عشق عرفانی بیاتی

٤١ نامه عشق اندر جیت

٤٢ هفت چهره عشق موروا آندره

٤٣ هنر عشق وزيدن فروم آريك

٤٤ آية العشّاق علي صفا

٤٥ ديوان نهضة العشّاق في أرض العراق مرتضى ضيائي

٤٦ مجالس العشّاق أمير سلطان حسين

٤٧ شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية عبد الرحمن بدوي

٤٨ في حقيقة العشق السهروردي

٤٩ رواية الدرياق في أحوال العشّاق صالح أفندي

٥٠ مصادر العشّاق جعفر السرّاج

٥١ تحفة العاشقين ابن سينا

٥٢ عبير العاشقين روزبهان البقلي

٥٣ مصباح العاشقين وجيه الدين محمّد

٥٤ ابن الفارض والحبّ الإلهي محمّد مصطفى حلمي

٥٥ بشرى الكئيب بلقاء الحبيب السيوطي

٥٦ الحبّ عمر رضا كحّالة

٥٧ الحبّ في التاريخ سلامة موسى

٥٨ الحبّ في القرآن محمود بن الشريف

٥٩ الحبّ وأخلاقيات الجنس في الإسلام الجميلي

٦٠ الحبّ والجمال عند العرب أحمد تيمور

٦١ الحبّ والجنس في منظور إسلامي محمّد علي قطب

٦٢ الحبّ والغرب دنيس

٦٣ الحبّ وما أدراك ما الحبّ واصف الاستاني

٦٤ الحبّ والمحبّة الإلهية محمود الغراب

٦٥ دراسة الحبّ في الأدب العربي مصطفى عبد الواحد

٦٦ ذو الرمّة شاعر الحبّ والصحراء يوسف خليف

٦٧ رسائل الأحزان مصطفى صادق

٦٨ سبيل النجاة في الحبّ في الله يوسف النبهاني

٦٩ في الحبّ والحياة مصطفى محمود

٧٠ كؤوس الحبّ الإلهي محمود شلبي

٧١ المأدبة سامي النشّار

٧٢ المأدبة فلسفة الحبّ أفلاطون

٧٣ نفح الطيب سيّد محمّد نوّاب

٧٤ احاديث در واسطه فيض و محبت در راه حق

٧٥ جذبات محب محب حسين

٧٦ جذب القلوب إلى ديار المحبوب السهروردي

٧٧ حديقة الأحباب حسين أهري

٧٨ سلّم التوفيق إلى محبّة الله عبد الله بن حسين

٧٩ سير الأولياء في محبّة الحقّ علوي كرماني

٨٠ روضة المحبّين الزرعي الدمشقي

٨١ القرب في محبّة العرب زين الدين

٨٢ المحبّة والشوق مولوي

٨٣ محبّة الله في القرآن الكريم محمّد كامل المحامي

٨٤ محبت در اسلام محمّد رحيمى

٨٥ المحبّة والشوق محمّد الغزالي

٨٦ محبوب العارفين

٨٧ معراج المحبّة شيخ علي

٨٨ نتيجه محبّت جالكى پرشاد

٨٩ كام دل محمّد رضا شافعى